**لقد أدركت زوجة جمال الدبوز ، ميليسا تيريو ، بأن هناك شيء مميز يجمع بين الدبوز و أصدقائه منذ أيام الطفولة ، نيكولا أنيلكا و عمر سي . لذلك قررت أن تنجز فيلما وثائقيا حول صداقتهم . الفيلم الذي عرض قبل أيام على قناة كنال بلوس ، يحكي قصة الأصدقاء الثلاثة و يعرض المسار الذي سلكوه نحو التألق . وإذا كان جمال الدبوز قد أصبح الكوميدي المفضل لدى الفرنسيين ، و نيكولا أنيلكا لاعب كرة بارع ، فقد نجح عمر سي في فرض وجوده داخل السينما الفرنسية من خلال فيلم « Les Intouchables » . كل ذلك يعود ربما لمعرفة هؤلاء الثلاثة بكيفية الاستفادة من مواهبهم الفطرية ، و جعل الصداقة في خدمة رغبتهم الملحة في التهام العالم .**

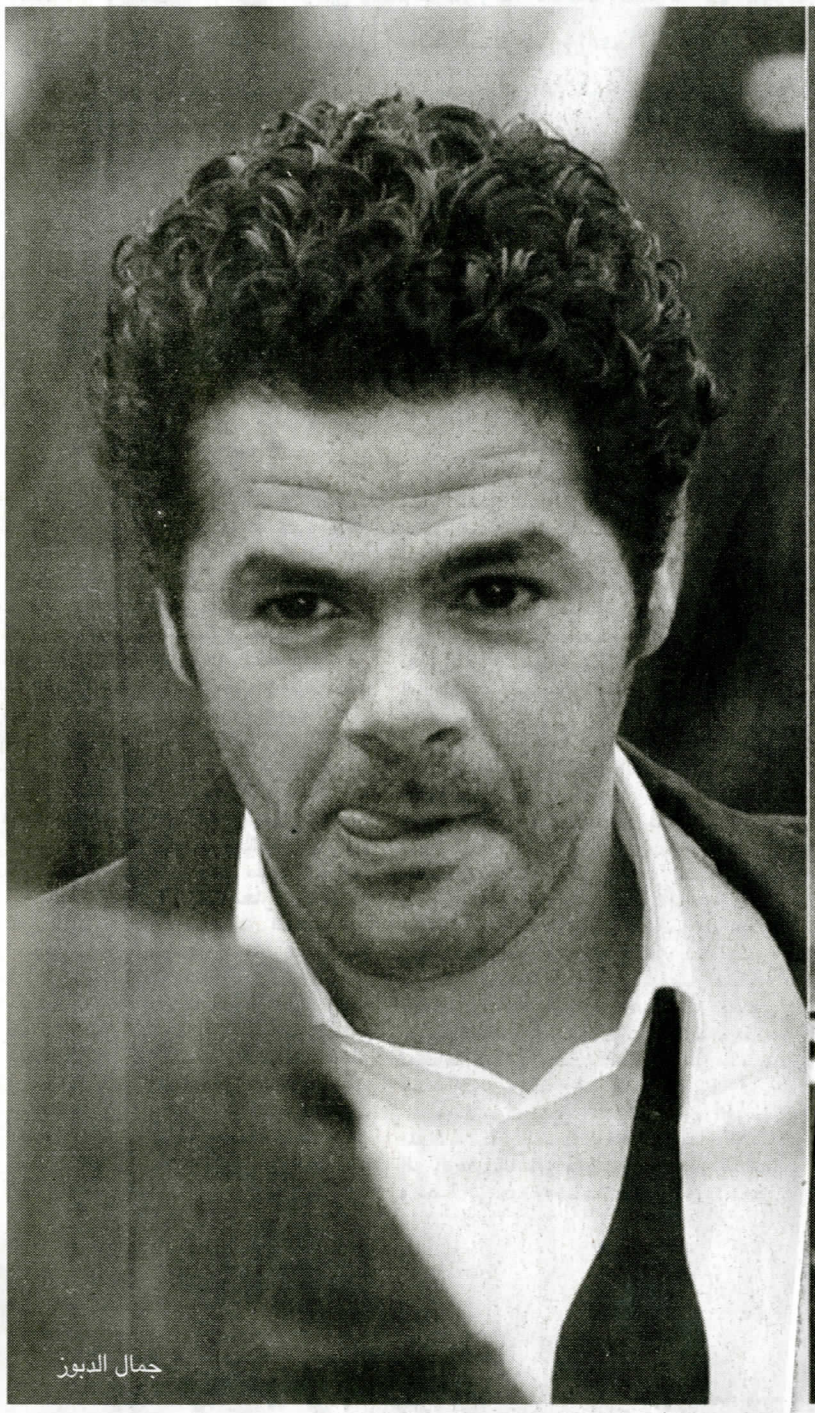
جمال الدبوز

نيكولا أنيلكا

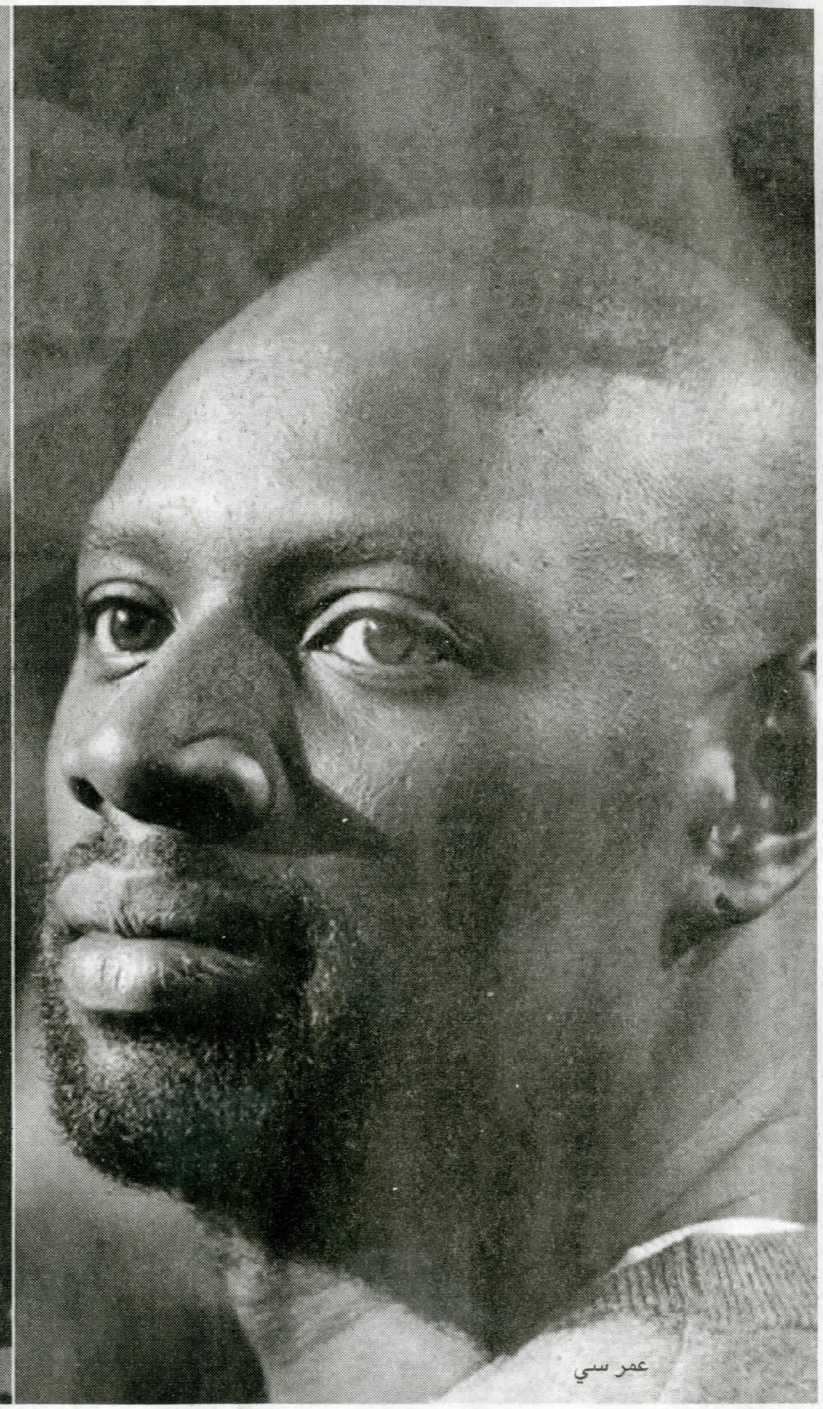
عمر سي

## أمضوا طفولتهم سويا و لازالت لحدود اليوم تجمعهم صداقة جد قوية

# الدبوز وأنيلكا وعمر سي... الثلاثي الناجح

■ إعداد **محمد حمامة** ■

إنه حفل غداء ليس كسائر الأيام عند عائلة الدبوز. و كسائر الآحاد» قام جمال و زوجته بقضاء اليوم مع العائلة. خلال حفل الغداء لم يتورع جمال الدبوز في توبيخ ابنه على تصرفاته السيئة. إعطاء قدوة حسنة، ذاك ما كافحت من أجله ميليسا تيريو لأجل إنجاز برنامجها الوثائقي الجديد. البرنامج يحكي طفولة جمال الدبوز، وصديقيه المفضلين، نيكولا أنيلكا و عمر سي، الذين نشؤوا في نفس المكان و أصبحوا الآن من نجوم فرنسا والعالم. «لكي أصف كيف استطاعت عائلات، مثل عائلة جمال و عمر، التي جاءت لتوها من الخارج و لم تكن تتكلم الفرنسية، النجاح في أن تجعل أطفالها يسلكون الطريق الصحيح، بدا لي من المهم أن أخذ بعين الاعتبار اللغة المشفرة، و البنية الأسرية، و قيمة العمل، و التواضع التي تحرص تلك العائلات على تلقينه لأطفالها».

وفي سبيل داخل المجتمع الفرنسي، كانت الأمهات هن من قاسين وتحملن العناء. ويصف جمال الأمهات بـ«أسياد العالم.» فلم تكن دياراتو سي متساهلة مع ابنها عمر، مثل باقي إخوته و أخواته الستة. «لقد منعته من مرافقة أصدقاء السوء. لقد قلت له مرارا بأنني لا أريد رؤية الشرطة تطرق باب بيتي، و أنني لا أرغب في الذهاب للبحث عنه في مخافر الشرطة. لقد كان ذكيا، وقد نجح الأمر معه.» وحتى عندما كان بإمكانهم الانجراف وراء الخداع والمساومات، كان عليهم مواجهة العار ونظرات أمهاتهم.. أمهاتهم اللواتي كن بطلات حياتهم. وقد أفلح كل عمر و جمال و نيكولا في رسم مسار مخالفا لحياتهم.

### معركة الوجود

«في بعض الأحيان، ينام خلال الشوط الأول، ثم يصحو بعد ذلك و يسجل الأهداف. بسبب المباريات الكثيرة التي تمكنا من الفوز بها بفضل أهدافه، لا يمكننا أن نقول له أي شيء. نصادف أمثال هذا اللاعب مرة كل عشرين أو ثلاثين سنة» هذا ما يقوله مدرب نيكولا الذي برهن على علو كعبه في كرة القدم عندما كان سنة يبلغ 12 سنة. ومدربه أنذك كان أحد أكبر المندهشين من قدرات أنيلكا الكروية، الذي رسم مساره الكروي بنجاح، و قاده ذلك للعب لفائدة فريق باريس سان جيرمان و المنتخب الوطني الفرنسي.وقد شكل نجاح أنيلكا مثالا يحتذى به بالنسبة للدبوز و عمر سي.

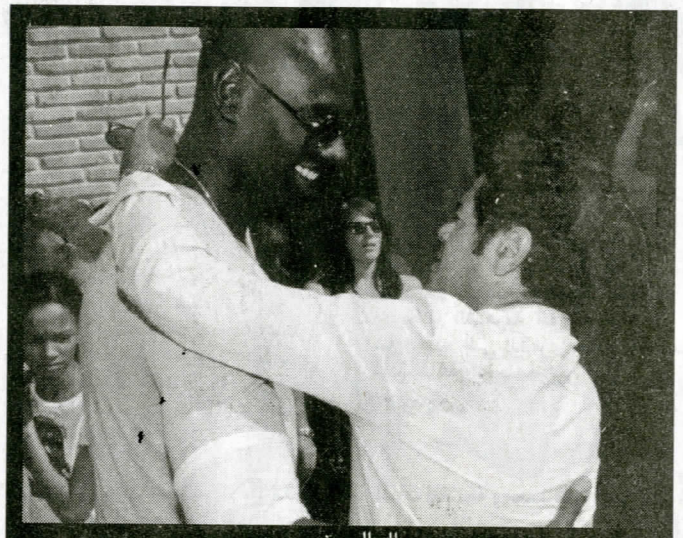

جمال الدبوز مع عمر سي

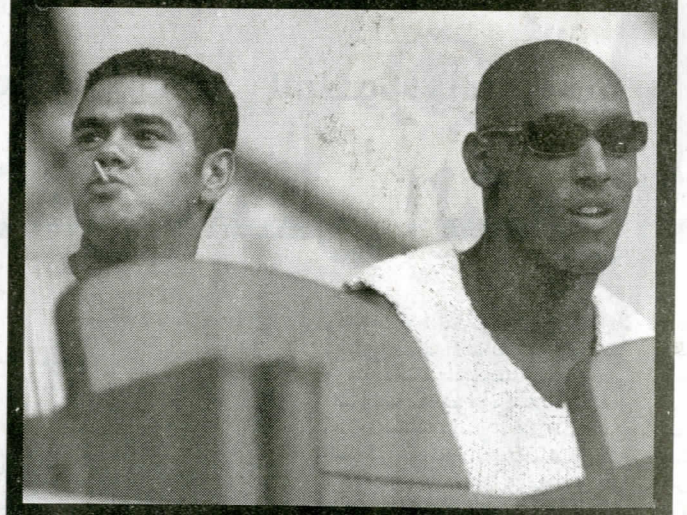

جمال الدبوز مع نيكولا أنيلكا

> فرنسا سيدة عجوز تعاني من إعاقة التاريخ، وتم نسفها بواسطة المخاوف التي تم إذكاؤها. إنها لا تطلب منك سوى أن تتعرف عليك. عندما تتعرف عليك، تعترف بك.»

إذا كان بمقدور أنيلكا النجاح فلماذا لا ينجحان هما كذلك؟

جمال كان أكثر شغفا من عمر، لقد أراد أن يكون شخصا ناجحا في حياته لكي يفرض وجوده. «لم أكن أحصل على أي نوع من التشجيع داخل المدرسة، كنت أنال الإحباط فقط. وقد استطعت التعايش مع ذلك. كنا مجرد فاشلين، وأولاد العار. كان ذلك محفزا قويا. كنا نريد أن يتم أخذنا بعين الاعتبار. مثل الشباب هذه الأيام»،يقول جمال. لقد ساهمت الصعاب التي واجهها، بما في ذلك الحادث الذي تعرض له، ومعاينته لمعاناة أمه حينما كانت تعود في الليل بعد إتمامها لعملها، في تعزيز رغبته في الانقضاض على أي فرصة أمامه.

بعد ذلك ساعد الدبوز عمر سي في أن ينتقل لميدان التمثيل بعدما كان سيبدأ مساره المهني بولوج مجال التبريد. و بفضل النجاح الذي لاقه فيلم «les Intouchables» استطاع عمر سي أن يفرض وجوده داخل السينما الفرنسية. لقد استطاع بفضل مساعدة الدبوز، الذي كان يفتح جميع الأبواب في وجهه، أن يدخل باب التمثيل من بابه الواسع. «عندما يستطيع أحدنا الدخول من أحد الأبواب، ندخل معه جميعا.»

«الفكرة وراء البرنامج الوثائقي جاءت بسبب التأملات التي كنت أقوم بها نتيجة لزواجي من جمال. و بسبب معاينتي لروابط الصداقة المتينة بينهم، فقد أردت أن أصور أواصر تلك الصداقة الحقيقية. في الحقيقة هم أكثر من مجرد أصدقاء، إنهم ثلاثة إخوة. لا ينبغي أبدا التعرض بأي مكروه لأي واحد منهم.» هذا ما تقوله ميليسا، التي تمكنت بفضل زواجها من الدبوز، أن تستشف درجة الحميمية التي تجمع بين الثلاثة.

لقد كان اختراق الحياة الشخصية السرية جدا لعمر سي، أمرا مثيرا. إذ تعقبته الكاميرا أثناء ذهابه للسنيغال لزيارة عائلته هناك. كما كان مثيرا كذلك مشاهدة جمال الدبوز أثناء اشتغاله لوحده على النصوص للخروج بعمل إبداعي، دون كلل، حتى ينال منه التعب. ثم مشاهدته وهو يكرر تلك النصوص بدون توقف. كما كان مثيرا جدا سماع حديث مارغريت أنيلكا، أم اللاعب نيكولا، تتحدث عن هزيمة المنتخب الفرنسي و سيل الانتقادات و الشتائم التي تواجهها العائلة بسبب ذلك. «كنت قد سجلت الهدف الوحيد في اللقاء (ضد ايرلندا في 14 نونبر 2009)، لكنهم تخلوا عني. تمكنت حينها من الاستيعاب أخيرا بأنني كنت أشكل مشكلا بالنسبة لهم، و بأنهم لم يريدوا أن أكون أنا بطلهم.»

بتصرف عن «باريماتش»

## مجابهة العنصرية

هذه العبارة تلخص حياة الثلاثة وتفسر الكثير من الأشياء في حياتهم، وتتقاطع مع ما صرح به عمر سي داخل العمل الوثائقي، عندما وصف المكان الذي عاش فيه الأصدقاء الثلاثة طفولتهم، بـ«الجهة الأخرى من العالم». لا يكتفي الأصدقاء الثلاثة بالحديث عن المسار الذي قطعوه نحو طريق النجومية، بل يثيرون كذلك العبارات العنصرية التي كانوا يواجهونها دائما. «كل ما كان يقال لنا يمكن تلخيصه في جملة واحدة: ذلك ليس لكم، لا يمكنكم أبدا فعل ذلك.» و في هذا الإطار نصبت ميليسا نفسها للدفاع عن معاناة الأصدقاء الثلاثة، وتقول «عمر، الذي كان تلميذا نجيبا، تم توجيهه نحو التكوين التقني. أنا كانت لدي نقط أقل من التي حصل عليها، و سمحوا لي بأن أتابع الدراسة في شعبة البكالوريا العامة. لماذا تم ذلك؟» التهميش الذي عانوا منه لا يفارقهم أبدا، بيد أنه ليست لديهم أي رغبة في الانتقام، أو الالتفاف حول الذات.

الأصدقاء الثلاثة تزوجوا كلهم خلال نفس الفترة. زوجاتهم كلهن فرنسيات (مثلهم) و من ذوات البشرة البيضاء (لسن مثلهم). لقد أفشلوا اللعبة الدنيئة للانتماء العرقي، والدين، و المحيط الاجتماعي و الثقافي، والانتماء الطبقي. لقد نجح التعايش المختلط، ولا شيء يمكنه إيقافه. لكن جمال هو الأكثر تفاؤلا ضمن الثلاثة. «فرنسا أصبحت أقل عنصرية مما نظن.» نفس الأمر قاله أنيلكا و عمر. «نعم، إنها أقل عنصرية من قبل». لكن تلك الكلمات خرجت بصعوبة من فم عمر سي، الذي يعرف جيدا حجم المعاناة التي مر منها قبل أن يصبح مشهورا. لقد عانى كثيرا من نظرات الناس المرتابة، والأقاويل السيئة، والإشاعات، والحماقات. وقد جاءت عبارات ميليسا لكي تخفف من وقع ذكريات عمر: «لا يمكنكم أن تتخيلوا عدد الرسائل التي توصلت بها أنا و جمال. بعضها كانت من فتيات مسلمات محجبات لم تكن لديهن الجرأة الكافية لتقديم أصدقائهم الحميمين من الذكور غير المسلمين أمام عائلاتهن. لقد شكرونا من خلال تلك الرسائل لأننا شكلنا نموذجا بالنسبة لهن. لقد تقبلتني عائلة الدبوز، كما قبلت عائلة عمر زوجته هيلين. يمكن لأطفالنا الاستفادة من هذه الروافد الثقافية المتنوعة دون أي مركب نقص.»

لقد تم تمرير هذه القيم لجيل يختلف كثيرا عن الجيل الذي سبقه، جيل لا يريد أن يمر بنفس ما عاشه الجيل السابق. رغم أن جمال ونيكولا وعمر وفروا لأقاربهم منازل مريحة، إلا أن ذويهم لا زالوا يعيشون في خوف. فمرة كان جمال داخل غرفة ملابس وحاولت أمه فاطمة، بعد انتهاء أحد عروضه، بأن تقنعه بتغيير المواضيع الحساسة التي يشتغل عليها، خصوصا ما يتعلق بالسياسة والدين. و أقرت ميليسا بأن حماتها تذهب إلى حد ممارسة الضغط عليها، ولو بشكل جد لطيف. «كما لو أنها لازالت خائفة من أن يأتي يوما ما أحدهم و يقول لها: عليك يا سيدتي العودة إلى بلدك الأصلي. لم يعد ممكنا بقائك هنا.»

لقد كافح أولادهم للخروج من وضعهم الهش، وللعيش في النور، بعيدا عن رغبة أبائهم في عيش حياة بعيدة عن الأضواء. ويقول جمال «في كل الحالات، وفي جميع الميادين، كنا نحاول أن نكون الأفضل. كنا نحاول أن نكون أفضل رواد الفضاء، وأفضل الوزراء، أو أفضل السارقين. أخيرا، أصبح المكان الذي كبرنا فيه، مكانا نحلم فيه ببناء وصنع مستقبلنا. لقد أصبحنا اليوم نستطيع أن نقاوم أي شيء.» ويضيف، في وعي تام بالبعد النضالي للبرنامج الوثائقي، الذي ساهم فيه إلى حد بعيد: «فرنسا هي سيدة عجوز تعاني من إعاقة التاريخ، وتم نسفها بواسطة المخاوف التي تم إذكاؤها. إنها لا تطلب منك سوى أن تتعرف عليك. عندما تتعرف عليك، تعترف بك.»